﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٦٥﴾ [المائدة: 65]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أثبت اللّه تعالى في الآية السّابقة كفر اليهود وعنادهم لمَا أُنزِل على النّبيّ ﷺ وعظهم في هذه الآية، ورجَّاهم في رحمته، بأنّهم لو آمنوا بنبوَّةِ النّبيّ ﷺ، واتَّقوا ما هُدِّدوا في كتابهم على ترك الإيمان به لكفَّر اللّه سيّئاتهم، وأدخلهم الجنَّة.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ولو أنّ اليهود والنّصارى - مع ما عدَّدنا من سيّئاتهم - آمنوا بالنّبيّ ﷺ، وبما جاء به، واتَّقوا اللّه بالانقياد إلى أوامره ونواهيه، لكفَّرنا عنهم تلك السّيّئات، وإن كانت كثيرةً، ولأدخلناهم الجنّة يتنعَّمون فيها نعيمًا لا ينقطع.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الوصل في: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

اتّفقتِ الجملتان في الخبريّة، وتناسبتا في المعنى فحسُن الوصل:

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وُصِلت هذه الجملة بما قبلها - وهو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: 64] - بالواو في ﴿وَلَوۡ﴾ لمَا بين الجملتين منَ الاتّفاق في الخبريّة لفظًا ومعنًى، وكونهما متناسبتين من حيث إنّهما في شأن اليهود وأهل الكتاب، فلمّا كانتا كذلك، ولم يكن مانع من عطفهما، حسُن الوصل بينهما.

دلالة ﴿وَلَوۡ﴾ الشّرطيّة:

أهل الكتاب، مع ما ذُكر من عنادهم، مدعوُّون للإيمان بالله وتقواه:

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ﴾ فيه دعوةُ أهل الكتاب للخير عن طريق التّعريض، حيث وقع الشّرط فيه بـ﴿وَلَوۡ﴾ دون غيرها من أدوات الشّرط كـ(إن) وغيرها؛ فإنّها قد تتضمَّن معنى التّمنّي، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ

مِنۡهُمۡ﴾ [البقرة: 167]، أي: يا ليت لنا كرَّة، وكقولك لأحدهم: لو تأتيني فتحدّثني، أي: ليتك تأتيني، وكذلك هي في هذه الآية، أُشرِبَت معنى التّمنّي توسُّعًا[1].

دلالة التّعبير بـ: ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾:

أهليَّة الكتاب تقتضي الإيمانَ بما فيه، والعملَ بمقتضاه:

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ﴾ عُبِّر فيه عنِ اليهود والنّصارى بـ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، أي: التّوراة والإنجيل، وفي ذكرهم بهذا العنوان تشنيعٌ عليهم، وتقريعٌ لهم على عدم إيمانهم بما في التّوراة والإنجيل منَ التّبشير بالنّبيّ ﷺ؛ فإنّ أهليَّتَهم للكتاب تُوجِب عليهم إيمانَهم بجميع ما فيه، فكفرهم به - وهم أهله - أقبح من كفر غيرهم؛ لإعراضهم عنِ الحقّ مع علمهم به[2].

بلاغة الإدماج في: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ﴾ الآية:

المعاصي المذكورة في الآية السّابقة عظيمة لا يُتنصَّل منها إلّا بالإيمان:

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ ... الآية، جعلَ الله تعالى إيمان أهل الكتاب وتقواهم شرطًا لتكفير سيّئاتهم بعد أن عدَّد بعضها في الآية السّابقة، وفي ذلك نوع منَ المحسّنات البديعيّة المعنويَّة، يسمّى الإدماج[3].

وبيان ذلك أنّ الظّاهر كان يقتضي أن يُقال - في غير القرآن - بعد ذكر سيّئات اليهود وقبائحهم في الآية السّابقة: (ولو أنّ أهل الكتاب تابوا لكفَّرنا عنهم)، فجُعل ﴿ءَامَنُواْ﴾ موضع (تابوا)، وصُرِّح بذكر السّيّئات دلالةً على أنّها لا تُغفر إلّا بالإسلام؛ لأنّه يهدم ما قبلَه[4].

حذف متعلّق ﴿ءَامَنُواْ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ﴾ حُذف مفعول ﴿ءَامَنُواْ﴾

(1) المغربيّ، مواهب الفتاح ضمن شروح تلخيص المفتاح: 2/241، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/252.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/59.
(3) وهو تضمين كلامٍ سيق لمعنى معنى آخر. السّيوطيّ، شرح عقود الجمان، ص: 136.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 5/421.

فيه، فلم يقُل تعالى: (آمنوا بي أو برسولي)، وقد حسَّن هذا الحذف الثّقة بظهور المفعول به فيما قبل هذه الآية، وما بعدها، فممَّا جاء قبلها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: 59]، وممّا جاء بعدها: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [المائدة: 66]، فعلم من ذلك أنّ قوله تعالى: ﴿ءَامَنُواْ﴾، يعني: آمنوا بالله، وبجميع ما جاء في التّوراة والإنجيل والقرآن، وما أنزله الله تعالى منَ الكتب[1].

الاختصار مع العلم من أسباب حذف متعلّقات الفعل:

لم قُدِّم الإيمان على التّقوى في: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾؟

الإيمان أساس جميع الأعمال:

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ قُدِّم فيه وجوب إيمان أهل الكتاب بالله، وبجميع ما أنزله من الكتب؛ وذلك لأنّ الإيمان هو أساس جميع الأعمال، وهو شرط لقَبول الطّاعات، وفي ذلك إعلامٌ لأهل الكتاب بأنّه لا نجاة لهم إلَّا بالإيمان المقتضي تصديقَ ما جاء به النّبيّ ﷺ، وعدم كتمان ما عندهم من وصفه[2].

دلالة قَرن الإيمان بالتّقوى في: ﴿ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾:

الإيمان المقصود هو ما كان لغرض التّقوى لا لغرض دنيويّ:

قوله تعالى: ﴿ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ قُرن فيه اشتراط الإيمان؛ لتكفير السّيّئات ودخول الجنّة باشتراط التّقوى أيضًا، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنّ الإيمان الّذي يترتَّبُ عليه ذلك هو ما كان لغرض التّحقُّق بتقوى الله، وعمل الصّالحات، لا ما كان لتحقيق الأغراض الدّنيويّة كإيمان المنافقين[3].

دلالة قَرن تكفير السّيّئات بإدخال الجنّة:

سعادة الآخرة تنحصر في رفع العقاب، وإيصال الثّواب:

قوله تعالى: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ رتَّب الله تعالى فيه على الإيمان المقرون بالتّقوى جزاء أُخرويًّا؛ هو

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 3/350.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/224.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/398.

تكفير السّيّئات وإدخال الجنّات، وسرُّ حصر الجزاء الأخرويّ في هذين الأمرين هو أنّ سعادة الآخرة محصورةٌ في نوعين: الأوّل رفع العقاب، وهو الّذي يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾، والثّاني هو إيصال الثّواب، وهو الّذي يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[1].

قُوبل الإيمان بتكفير السّيّئات، وقُوبلَت التّقوى بدخول الجنّة:

كما أنّ ترتيب تكفير السّيّئات، ودخول الجنّة على الإيمان والتّقوى، يعدُّ منَ التّوزيع، فالإيمان في الآية يقابله تكفير السّيّئات؛ إذِ الإسلام يجُبُّ ما قبله، والتّقوى يقابلها دخول جنّات النّعيم؛ لكون المتَّقي ممتثلًا لأوامر الله تعالى والنّواهي، فهو يُكافأُ على ذلك بالجنّة[2].

دلالة لام التّأكيد في: ﴿لَكَفَّرْنَا﴾:

وعد الله واقع لا محالة، فكيف لو أُكِّدَ؟!

وقوله تعالى: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أُكِّد فيه جواب الشّرط بلام التّوكيد، ولمَّا كان يصحُّ أن يُقال في غير القرآن: (ولو أنّ أهل الكتاب آمنوا، واتّقوا، كفَّرنا عنهم) كان في إدخال هذه اللّام توكيدٌ يُضافُ إلى التّوكيد المستفاد أصلًا من وعد الله تعالى[3].

وقد جاء هذا التّوكيد غايةً في مطابقة المقام؛ وذلك لأنّه قد تقدَّم في الآية السّابقة ذمُّ اليهود وتعديدُ سيّئاتهم، فلمّا كان قد يقع من بعضهم قنوط من رحمة الله جاء هذا التّوكيد ليُبطِل هذا الظّنَّ، ويقرِّرَ أنّ الله تعالى يغفر لمَن آمن مِن أهل الكتاب، واتّقى، ولا يبالي بما تقدَّم من خطاياه وعناده. والله تعالى أعلم.

دلالة التّعظيم في: ﴿لَكَفَّرْنَا﴾:

وفي قوله تعالى: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ عُبِّر بضمير

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/398.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/318.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/253.

التّعظيم - المتضمِّن لمعاني الجلال والكبرياء - في: ﴿لَكَفَّرْنَا﴾، وفي استعماله في هذا الموضع إشارةٌ إلى عظيم جُرأة أهل الكتاب، وفداحة جرائمهم الّتي تقدَّم بعضها في الآية السّابقة[1].

استعمال ضمير التّعظيم يدلّ على عِظَم الذّنب، وجُرأة المُذنب:

جمع ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ جمع قلّة:

وفي قوله تعالى: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ جُمِعتِ السّيّئات جمع مؤنّث سالمًا، وهو من جموع القِلَّة، وفي ذلك نُكتةٌ لطيفةٌ؛ وهي الإشارة إلى أنّ ذنوب أهل الكتاب وغيرِهم - مهما كثُرت - فهي قليلة في جنب عفو الله تعالى وكرمه[2].

الذّنوب الكثيرة قليلة بالنّسبة إلى كرم الله تعالى:

تكرير اللّام في: ﴿وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ كُرِّرت فيه لام التّوكيد الدّاخلة على جواب الشّرط في: ﴿لَكَفَّرْنَا﴾، وفي تكريرها تأكيد لوعد الله تعالى لمؤمني أهل الكتاب بتكفير السّيّئات، وإدخالهم الجنّات إذا آمنوا واتّقوا، وتأكيد هذا الوعد كتأكيد سابقه - أي: ﴿لَكَفَّرْنَا﴾ - في مطابقة المقام[3].

تكرار التّوكيد يدلّ على تأكيد الوعد:

دلالة التّعظيم في: ﴿وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ﴾:

وقوله تعالى: ﴿وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أُسند فعل الإدخال فيه إلى (نا) الدّالّة على التّعظيم، وفي ذلك إشارة إلى سعة رحمة الله تعالى، وأنّها لا تضيق عن شيء أراده، فهو سبحانه يُدخل الجنّة مَن شاء، وإن كثُرَت ذنوبه إذا آمن به، واتّقاه[4].

رحمة الله واسعة لا تضيق عن شيء:

دلالة إضافة الجنّات إلى النّعيم:

قوله تعالى: ﴿وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أُضيفت فيه الجنّات

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/225.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 3/350.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/59.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/225.

أهـــل الإيـــمـــان يتنعّمون، وأهل الكفر للعذاب مستحِقُّون:

إلى النّعيم، وفي هذه الإضافة إشارة - بمفهوم المخالفة - إلى ما يستحقُّه مَن لا يؤمن من أهل الكتاب، ويتّقي منَ العذاب، فكأنّه قيل: مَن آمن واتّقى منهم فله جنّات النّعيم، ومن لم يؤمن ويتَّقِ فله عذاب الجحيم[1].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/318.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»